المحاضرة الخامسة: النقد السيميائي

تمهيد:

أدى تطور علوم اللغة والدراسات اللسانية في العصر الحديث الى ظهور مناهج وتيارات نقدية مختلفة تتغذى منها بشكل مباشر وقد سبق وأن أشرنا الى ذلك في سياق حديثنا عن الأسلوبية والبنيوية وظهور النقد الجديد، لقد وقفت هذه المناهج عند النص ونظرت إليه نظرة مغلقة بغية تأصيل نماذج بنائية بحتة وجهت لها الكثير من الانتقادات والمآخذ التي ذكرت في المحاضرات السابقة خاصة سمة الانغلاق النصي التام وتجاهل السياق الخارجي الذي من شأنه تطعيم النص بمعاني مختلفة تفتح أفق التأويلات وتزيد من حتمية الخلق الأدبي.

كان هذا المأزق سببا في ظهور اتجاهات فتحت عملية المقاربة على مناحي عديدة كما لاحظنا في الاسلوبية التعبيرية والنفسية، وفي التوجه البنيوي التكويني على يد غولدمان، وتوسعت القراءة مع السيميائية التي فتحت طرائق جديدة في النقد لتتخطى جدار اللغة والنظام البنيوي الى أدبية تنطلق من استحضار خطابات أخرى بوصفها أنظمة فكرية تحمل فيضا من المعاني. بهذا فالسمييائية تناقض البنيوية **{لا من حيث اهمالها للشكل وتجاوزها له ولكن من حيث عنايتها بالمعنى وحرصها على أن كل نص أدبي ينطوي بطيعته على مكانات متعددة للتأويل واستخلاص المتلقي لأنواع غير محدودة من الدلالات والمعاني**[1]

1_المفهوم:

تلقفت الساحة العربية مصطلح **السيميائية** بترجمات مختلفة تحوم حول السيمياء وعلم العلامات، علم الإشار ة، السيميولوجيا، السيميوطيقا، علم الأدلة، لمصطلح شائع في الساحة الغربية هو semion- semiology الذي وظفه **فرديناند دي سوسور** و semiotics حسب العالم الامريكي **شارل**

[1] - ابراهيم خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ،2003، ص105

سانردس بيرس، ويستخدم المصطلحين في الغرب لدى كل مجتمع ناطق باسم العالم الذي ينتمي إليه تقديرا لجهوده. وحين أضحت عبارة عن قراءات في الخطابات الابداعية ظهرت جهود عالميين بنيوين هم رولان بارت ولاكان وجوليا كريستيفا وكاسرر في سياق حديثه عن رمزية الأشكال وهنا المفاهيم التي نصطدم بها تقريبا تختلف بين التوجه السوسوري بخلفياته اللغوية، وبين التوجه البيرسي بمرجعياته المنطقية، حتى بارت أضاف سيمياء الدلالة وظهرت كما سنى سيمياء الثقافة عند لوتمان وامبرتو ايكو وغيرهم[2]

2-السيمياء و أنواعها:

أ-سيميولوجيا سوسور: كان حديث سوسور عن اللسانيات فاتحة لظهور علم السيمياء التي بشر بها بوصفها علم العلامات اللغوية وجعلها جزءا من علم السيميولوجيا العالم، يقول: { **إن اللغة نظام إشاري يعبر عن الأفكار ، وبذلك يمكن مقارنته بالنظام الكتابي وبالنظام الألفبائي للصم والبكم وبالنظام الإشاري النقشي..إن العلم الذي يدرس حياة الإشارة في مجتمع من المجتمعات يمكن ان يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي وبهذا سوف ادعو هذا العلم سيميولوجيا**}[3]، هنا يؤكد الباحث بسام قطوس ان اللغة عند سوسور

[2] - أنظر بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2005، الاسكندرية ص186-187

[3] -Ferdinand de Saussure ,Course in General Linguistics**(1959 edition)** English Translato Wade Baskin Philosophical Library (New York)p16 نقلا عن بسام قطوس، مدخل الى مناهج النقد المعاصر، ص189

{نظام من العلامات تعبر عن الأفكار مثلها مثل أنظمة أخرى تشبهها كأبجدية الصم والإشارات العسكرية وغيرها ولكن اللغة هي أهم من هذه الأنظمة العلاماتية}[4].

إن سوسور اهتم بالسيميولوجيا باعتبارها جثا علاميا تقوم بذاتها والا تحتاج لوسيط دلالي لانها تستند الى نظام لساني لا تترك مجالا لتدخل النظم التعبيرية

ب- سيميوطيقا بيرس

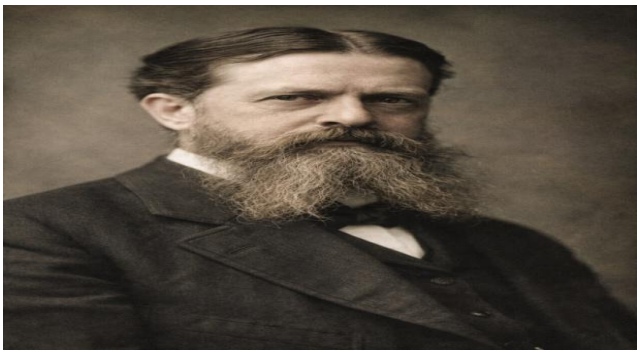

إن السيماء التي دخلت عالم النقد الأدبي والدراسات الظاهراتية كانت انطلاقاتها العلمية حسب الباحثين تبدأ ن بيرس التي انصب على دراسة الرموز ودلالاتها، فهي{ **تتأسس على تحليل مقولات الوجود الثلاث وتهتم بتمظهر الدليل وفعل الدليل اللامتناهي واللامحدود هو وحده الذي يضمن تأسيس نسق سيميولوجي قادر على أن يوضح نفسه بنفسه، بوساطة وسائله الخاصة**}[5] ،

يقوم توجه بيرس على أبعاد مختلفة هي البعد التركيبي، البعد الدلالي، البعد التداولي لأن اللغة تقوم على مورفيمات وفونيمات ووحدات معجمية في سياق البعد التركيبي ويهتم البعد الثاني بالمعاني في حين يلجأ البعد الثالث الى الحديث عن قواعد التأويل. إن الأبعاد الثلاثة عند تشارلز ساندرز بيرس تعد من الأسس النظرية في علم العلامات (السيميائيات)، أن سيميوطيقا شارل ساندرس بيرس تعتبر اوسع من سيميولوجيا سوسور كونها **تعتمد على الظاهراتية كما جاءت عند ادموند هوسيرل الذي تتخذ فلسفته نقطة انطلاقها من صورة العالم في وعي الانسان، ومن ثم فهي تنفي امكانية النظر إلى العالم**

[4] - أنظر بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 189.

[5] - المرجع نفسه، ص 191

باعتباره كيانا مستقلا عن الوعي البشري وتسعى للوصول إلى الو اقع المجسد من خلال خبرتنا به }[6] ، فالعلامة هي التي تهتم بها السيميولوجيا والتي اتسعت عن مفهوم الكلمة، وعن ثنائية الدال والمدلول بل فتح المجال لتدخل عنصر ثالث في ماهيتها، بين الممثل والموضوع والمؤول، وشملت ايضا {**العلامات غير اللسانية بذلك أصبح بالإمكان اعتبار الفراغ أو البياض علامة وطريقة الكتابة علامة والنقطة أو مجموعة النقاط علامة ونوعية الخط ولونه وحجمه علامة ....الخ}**[7] ،

وقد شكّلت منطلقًا مهمًا لدراسة كيفية اشتغال العلامة داخل اللغة وخارجها. وتتمثل هذه الأبعاد في :**البعد التركيبي، البعد الدلالي، البعد التداولي**.

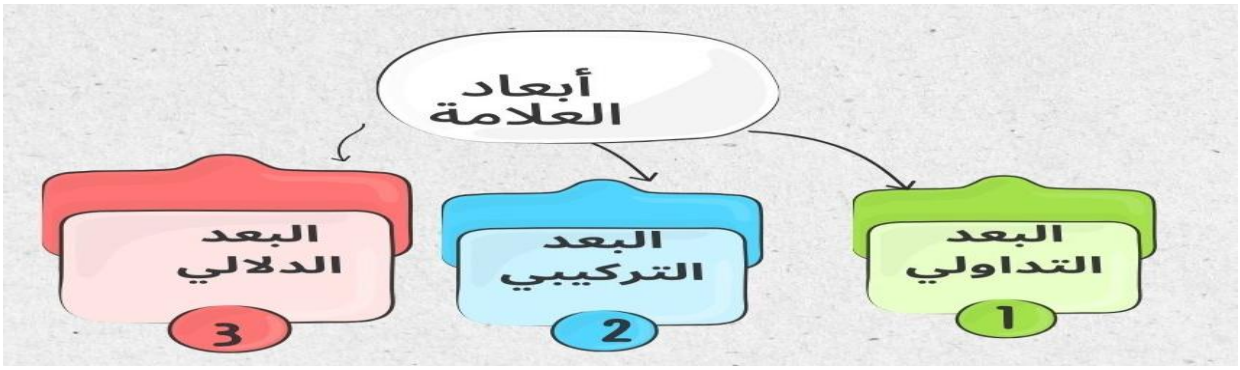

1-البعد التركيبي: يهتمّ هذا البعد بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها ببعض دون النظر إلى معانيها أو إلى مستعمليها. بمعنى:كيف تنتظم العلامات داخل نسق معين؟ ما القواعد التي تحكم ترتيبها؟ كيف تتكوّن البنية العامة للنظام العلاماتي؟ إذن هو يدرس **البنية والتنظيم** فقط، أي الجانب الشكلي الصوري للعلامات.

2- البعد الدلالي: يهتمّ هذا البعد بدراسة العلاقة بين العلامة وما تدل عليه فهي تهتم بالإجابة على السؤال التالي : ماذا تعني العلامة؟ ما الشيء أو المفهوم الذي تشير إليه؟ كيف يتكوّن المعنى؟ إذن البعد الدلالي يبحث في المعنى والإحالة.

---

[6] - محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة، ص 70 نقلا عن الربيعي بن سلامة، الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، ص57

[7] - المرجع نفسه، ص ن

3- البعد التداولي: يركّز هذا البعد على العلاقة بين العلامة ومستعملها، بمعنى من الذي يستخدم العلامة؟ في أي سياق؟ ما الغرض من استعمالها؟ ما الأثر الذي تُحدثه في المتلقي؟ فالمعنى قد يتغير حسب السياق الاجتماعي نية المتكلم، الموقف التواصلي إذن التداولية تهتمّ بالاستعمال والتأثير والسياق.

ج-- سيميولوجيا الدلالة:

هي فرع من فروع السيمياء يهتم بدراسة **المعنى** وكيفية تشكله داخل العلامات والأنظمة الرمزية. تركز على العلاقة بين **الدال والمدلول**، وكيف تنتج العلامات دلالاتها داخل النصوص والخطابات. لقد عني رولان بارت بتقريب النقد الأدبي من بنية النص الأدبي ولغته، واعتبر أن اللسانيات ليست فرعا ولو كان مميزا من علم الدلائل، بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعا من اللسانيات[8]، وترى أن انتاج الدلالة حسب رولان بارت يتم عبر اللغة وهي التي يمكنها أن تمد الظواهر بالمعاني، وكل اجتهاداته هنا تحاول أن تمنح القارئ حرية في تحرير النص وتحرير مخيلته، فمنطق النص لا يحكمه الفهم، بل الكنايات والدلائل، لذا هو ليس مجموعة من المعاني : إن{ **قدرات التحرر التي ينطوي عليها الأدب لا تتوقف على الشخص المدني، ولا على الالتزام السياسي للكاتب، كما أنها لا تتوقف على المحتوى المذهبي لعمله، و إنما على ما يقوم به من خلخلة للغة**}[9] ،

د- سيميولوجيا الثقافة:

تفرعت السميولوجيا إلى اتجاهات مختلفة كما رأينا منها سيميولوجيا الثقافة ، وقد ظهرت عند جماعة موسكو ويوري لوتمان، ايفانوف، وطوبروف، ممن يعدون الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية}[10] ،

---

[8] - أنظر بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 192

[9] - المرجع نفسه، ص 191

[10] - حنون مبارك، دروس في السميائيات، ط1، دار توبقال للنشر والتوزيع، المغرب، 1987، ص 89

فأمبرتو ايكو قد تمكن من اختراع نموذجا سيميائيا تسهم في فك شفرات الرسائل من طرف القارئ، وحصرها في دلائل قصدية واخرى غير قصدية لتتفرع الى ثمانية عشر نسقا جمعها في انماط مختلفة منها الطقوس والأساطير والمعتقدات وغيرها}[11] ،

هـ-سيميولوجيا التواصل:

سيميولوجيا التواصل هي فرع من فروع السيميولوجيا تهتم بدراسة العلامات داخل العملية التواصلية داخل سياق اجتماعي وثقافي معيّن. يمثلها كلا من جورج مونان Georges Mounin وبويسنس Éric Buyssens وبريتو Luis Jorge Prieto، والعلاقة بين أصحاب هذا الاتجاه تتكون من وحدة ثلاثية المبنى هي الدال والمدلول والقصد}[12]،. فالقصد عنصر حاسم، لأنه يمنح العلامة وظيفتها داخل موقف تواصلي محدد، حيث يسعى المرسل إلى التأثير في المتلقي أو إفهامه معنى بعينه.

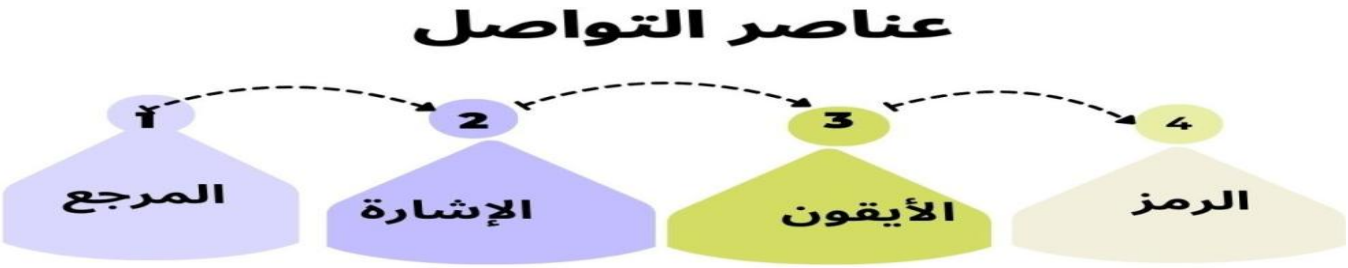

وتقوم سيميولوجيا التواصل على محورين أساسيين: الأول هو **محور التواصل**، ويعنى بدراسة نظم لكلام التواصلي بين البشر التخاطب والتفاعل بين البشر، أي كل الأنظمة التي تُستعمل لنقل رسالة داخل المجتمع، سواء كانت لغوية أو غير لغوية. أما الثاني فهو **محور العلامة**، الذي يدرس طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، وهي تتفرع الى اربع اصناف لكن في إطار الاستعمال الفعلي، أي في سياق تداولي واجتماعي. ومن هذا المنطلق، تتفرع سيميولوجيا التواصل إلى دراسة أنظمة متعددة، يمكن تصنيفها إلى أربعة أصناف كبرى :

[11] - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 195

[12] - المرجع نفسه، ص ن

الاشارة: وهي أقرب العلامات للفهم والاستعياب لأنها لا تحتاج الى شرح مثل علامات المرض وهي علامة تقوم على علاقة مباشرة أو سببية، كالدخان الذي يدل على النار، أو جرس المدرسة الذي يدل على نهاية الحصة. **أو الإشارية**، وتضم الإيماءات وحركات الجسد وتعابير الوجه ونبرات الصوت. فرفع الحاجب، أو الابتسام، أو خفض الصوت، كلها علامات ذات بعد تواصلي، وقد تختلف دلالتها باختلاف السياق الثقافي.

- **المؤشر:** وهي الاشارة الاصطناعية التي تشترط توافر المتلقي لها لفهم المعنى المقصود منها أولاً:وتُعدّ النظام التواصلي الأرقى والأكثر تعقيداً، لأنها تعتمد على نسق من القواعد والتركيبات التي تسمح بإنتاج عدد لا محدود من الرسائل.
- **الأيقون:** علامة تدل على شيء تجمعه الى شيء اخر علاقة المماثلة **الأيقونة** :وهي علامة تقوم على المشابهة، مثل الصورة الفوتوغرافية أو الرسم الذي يشبه الشيء الذي يمثله.
- **الرمز:** الرمز ليس له وجه أيقوني كالخوف والفرح والعدل وكل الشعارات والصفات}[13] ، **الرمز** :وهو علامة تقوم على العرف والاتفاق، مثل الكلمات اللغوية أو العلم الوطني، إذ لا توجد علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، بل علاقة اصطلاحية. وتشمل الرموز الدينية والسياسية والاجتماعية، مثل الأعلام، والشعارات، والطقوس، واللباس الموحد. فالرمز هنا لا يحيل إلى معنى مباشر فقط، بل يحمل شحنة ثقافية وتاريخية تتجاوز الدلالة الحرفية.

خلاصة: السميولوجيا كمنهج نقدي تصلح لقراءة الأدب كأنظمة علاماتية واشارية، لقد{ **امتازت الدراسات السيميائية للأدب بحرصها على فهم العلاقة الأدبية في مستوى العلاقة الجدلية بين النص**

[13] - عبد الله ابراهيم وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1996، ص84-96

الأدبي والمجالات الثقافية والأيديولوجية وفي مستوى النص الأدبي}[14] ، بهذا انتقل النقد الأدبي من الاهتمام بالبنية الى تأويل الشفرة وطرق انتاج المعنى لتفتح مالا للقارئ.

[14] - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 197